التاريخ يعيد نفســـه

بين المسلمين واليهود

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

لقد ظهر الإسلام والدولة الرومية تحكم فلسطين وغيرها من بلاد الشام ، وكانت قد قضت على دولة اليهود فيها من قبل الميلاد المسيحي ، وفرقتهم منها في سائر البلاد ، وكانت دولة الروم تحكم فلسطين وغيرها من البلاد الشرقية حكماً استعمارياً ، يستبد فيه الأوربيون بالشرقيين كما يستبدون بهم في عصرنا ، ويقوم على أساس الطمع في بلادهم كما يقوم الآن بيننا ، فلما ظهر المسلمون مال أهل هذه البلاد إلى حكمهم ، لأنه لم يكن حكم طغيان واستبداد كحكم الدولة الرومية ، فدخلت في حكم المسلمين بحق الفتح ، ودخل كثير من أهلها في الإسلام عن طواعية واختيار وبقي بعض أهلها على دينهم ، فعاشوا بين إخوانهم من المسلمين تجمعهم كلمة الوطن ، ولا يؤثر فيهم ما بينهم من اختلاف في الدين حتى مضى عليهم فيه أكثر من ثلاثة عشر قرناً ، وإنه ليكفي أقل منها لتثبيت حقهم فيه ، ولإبطال حق الروم الذين كانوا يحكمون قبلهم ، فما ظنك باليهود الذين لم يكن لهم أثر فيه على عهد فتح المسلمين له ، وهذا هو حكم التاريخ والسياسة في أمر فلسطين ، وهو حكم صريح في أنها للعرب من مسلمين ومسيحيين لا لليهود ولا للصهيونيين ، ولا لغيرهم ممن يريد سلبها منهم ، ويستغل حق اليهود والصهيونيين في الوصول إلى مآربه ، ليضرب العرب بهم ويضربهم بالعرب ، ويظفر بعد هذا بما له من مآرب وحينئذ يندم اليهود ولات ساعة مندم ، ويأسفون على إساءتهم لمن أحسن إليهم ولات ساعة أسف .

القصاص ؛ كما كان عليه الشأن عند العرب — والناحية الثانية أن نظام الطبقات عند الرومان كان ملحوظاً في تطبيق هذه العقوبة ؛ فإذا كان الجاني من الأشراف استبدل النفي بعقوبة القتل وإذا كان من الطبقة الوسطى كانت عقوبته قطع الرقبة ؛ وإذا كان من الطبقة الدنيا كانت عقوبته الصلب أو إلقاءه طعاماً لحيوان مفترس ، أو يشنق .

وقد دخل على هذا النظام عدة تغييرات انتهت بتدخل الحكومة في إقرار العقوبة وتنفيذها ، كما هو عليه الحال في القوانين الحديثة

القتل في الإسلام :

نزل في عقوبة القتل آيتان أولاهما مكية وهي أول ما نزل في القتل وهي قوله تعالى: (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً) والأخرى مدنية وهي قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى : الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى . فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ؛ ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ؛ فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم . ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون) . كما وردت نصوص أخرى متفرقة في القرآن نهت عن القتل منها : (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ؛ ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون) . ومنها قوله تعالى : (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم ، إن قتلهم كان خطئاً كبيراً. ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا. ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق)

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله : « اجتنبوا السبع الموبقات وذكر فيها قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق »

أسباب النزول :

روى في أسباب نزول القصاص أن بدوياً قتل آخر من الأشراف ؛ فاجتمع أقارب القاتل عند ولي المقتول وسألوه عما يريد ، فخيرهم بين إحدى ثلاث قالوا : ما هي ؟ قال : إما أن تحيوا ولدي ، أو تملأوا داري من نجوم السماء ، أو تدفعوا إلي جملة قومكم ثم لا أرى أني أخذت عوضاً .

تبين هذه الرواية مقدار ما جبلت عليه نفوس العرب من الإسراف في طلب القصاص والتمنع فيه كأخذ الجاني بغيره والجملة بالواحد

استمر العرب يقتلون الجماعة بالواحد والرومان يفرقون بين الشريف وغير الشريف ؛ والتوراة تحابي المجني عليه ؛ والإنجيل يفرط في شأنه حتى ظهر الإسلام فنزلت آيات القصاص التي تنظم جزاء جريمة القتل وترسم عقوبتها على أسس من العدل والإنصاف سنذكرها في مقال تال إن شاء الله فارتفع من الشرائع الأخرى مساوئها واستقرت محاسنها .

علي حلمي

وأما حكم الدين فهو كحكم التاريخ والسياسة أيضاً ، لأن اليهود قد وعدوا بذلك الوطن فى عهد إبراهيم حقاً ، إذ جاء فى الآية — ٧ — من الأصحاح — ١٢ — من سفر التكوين (وظهر الرب لأبرام وقال : لنسلك أعطى هذه الأرض) وجاء فى الآية ٢١ — من سورة المائدة (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين) وهذا خطاب من موسى إلى قومه حين ذهب بهم من مصر إلى هذه الأرض المقدسة .

ولكن الله تعالى لم يكتب هذه الأرض لهم لأنهم يهود ، ولا لأنهم أبناء إبرهيم عليه السلام ، ولا لأنهم قوم موسى عليه السلام ، لأن البشر عنده سواء ، وهما جميعاً خلقه وعبيده ، وعدله يشملهم عامة ، ورحمته تعمهم كافة ، وإنما كتب لهم هذه الأرض ليقوموا فيها بعهده ، ويؤدوا فيها حقه عليهم ، كما قال تعالى فى الآية — ٤٠ — من سورة البقرة (وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وإياى فارهبون)

وكان عهد الله تعالى عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وأن يصدقوا أنبياءه الذين يرسلهم إليهم ، فلم يفوا له بهذا العهد وكذبوا بعض من أرسله إليهم ، وقتلوا بعضهم ، كما قال تعالى فى الآية — ٧٠ — من سورة المائدة (لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلاً كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون) والتوراة وما بعدها من كتب العهد القديم مملوءة بأخبار نقضهم هذا العهد ، وكفرهم بالله تعالى ، وتكذيبهم أنبياءه .

وقد سلط الله عليهم من أخرجهم من هذا الوطن جزاء لهم على نقض هذا العهد ، وكان بختنصر أول من سلطه عليهم ، فأجلاهم من فلسطين إلى بابل ، وقد مكثوا بها إلى أن أعادهم كورش الفارسى إلى فلسطين ، فأقاموا بها ثانياً مدة من الزمان ، وأقاموا دولة لهم فيها دون دولتهم الأولى .

ثم سلط الله عليهم دولة الروم قبيل ظهور المسيح ، فقضوا على دولتهم قضاء لا مرد له ، وأجلوهم من فلسطين آخر جلاء ، لأنهم كذبوا مسيحه وحاولوا قتله ، وقتلوا ابن خالته يحيى بن زكريا قبله ، فعظم بغيهم ، وتفاقم شرهم ، وانقطع الأمل فى صلاح حالهم ولم يبق معنى لبقائهم فى فلسطين ، بعد أن ظهر المسيح بشريعة لا تختص بهم وحدهم . ثم جاء الإسلام بجعل الرسالة عامة للناس جميعاً ، واستوى فيها الخلق كافة ، فدان للمسيح من دان من الشعوب ، ودان للاسلام من دان منهم ، وبقى اليهود وحدهم يزعمون أن رسالة الله لا تتعداهم ، وأنه لم يصطف من الناس غيرهم

فاتفقت النصرانية والإسلام على نزع هذا الوطن منهم ليتحقق وعد الله بنزعه منهم إذا لم يفوا بعهده ، ويؤمنوا بأنبيائه لأن وعد الله حق ، وخبره لابد من تحققه فى الماضى والحاضر والمستقبل ، ومن يمكن لهؤلاء اليهود فى فلسطين من مسيحى أوروبا وأمريكا يخالف المسيحية قبل أن يخالف الإسلام ، ويجرى وراء السياسة الباغية التى توقع الناس فى أفظع الحروب ، وتؤدى إلى خراب العالم ، ولا يقرها دين من الأديان .

وللأخلاق حكم فى طمع اليهود فى فلسطين أيضاً ، لأن العرب فتحوا لهم بلادهم فى فلسطين وغيرها ، فوجدوا فيها جواراً كريماً ، ولقوا فيها عدلا وأمناً ، وقد لفظتهم أوربا فى القرون الوسطى كما تلفظهم الآن ، فلم يجدوا مأوى لهم إلا فى بلاد العرب ، فقضوا فيها تلك القرون الطويلة ، لا ينالهم أحد بشر ، ولا تنظر إليهم عين بسوء ، بل يجدون منا أكرم عطف ، وينتفعون بنا أقوى نفع ، حتى صاروا ولهم بيننا أموال لا تحصى ولا تعد ، وأصبحوا وبيدهم زمام التجارة والصناعة ، فلا يحقد أحد هذا عليهم ، ولا يحاول أحد أن ينتزع شيئاً منهم .

أفيكون جزاؤنا على هذا كله أن يطمعوا فى هذه البلاد التى آوتهم ؟ وأن يتخذهم أعداؤنا وأعداؤهم من متعصبى أوربا وأمريكا وسيلة لقضاء مطامعهم ، حتى إذا قضوا أغراضهم من تسخيرهم فى حربنا قلبوا لهم ظهر المجن ، وطردوهم من فلسطين كما يطردونهم الآن من أوربا ، اللهم إنه لا يجوز شىء من هذا فى شريعة الأخلاق ، وإن اليهود قد خرجوا فى هذا الطمع الشنيع على حكم الخلق الكريم ، كما خرجوا على حكم السياسة والتاريخ والدين

ولا شك أن الظلم مرتعه وخيم ، والبغى عاقبته شر ، وقد بغى اليهود على المسلمين الأولين فى المدينة وكانوا قلة يعدون بالعشرات ، وليس لهم من العالم على سعته إلا بقعة صغيرة فى المدينة وما حولها ، فجزاهم الله على بغيهم شر جزاء ، وأعان هذه القلة عليهم فطاردتهم من المدينة شر طرد ، ولم ينفعهم ما حاولوه من إثارة العرب على المسلمين ، وما جمعوه من الأحزاب لإخراجهم من المدينة ، لأن الله لا ينصر بغياً على عدل ، ولا يرفع باطلاً على حق

واليوم يبغى اليهود على المسلمين وهم يملؤون الأرض من